❑ بالثورة المباركة حقق شعبنا إرادته وامتلك حريته وحكم نفسه بنفسه.

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

الثورة اليمنية والمرأة .. استحقاقات وظواهر

أحمد محمد الحربي

٥- اشكال انتقاد الحرية لم تشهدها المرأة

● اذا كان جذر عبودية المرأة – بنظر علمي الاقتصاد والاجتماع – يتمثل بانها تعيش عالة على الرجل .. ولان العبودية ، نقيض للحرية .. التي هي مطلب ، واستحقاق انساني .. لايجب التنازل عنه .. ولاننا فيما سبق حاولنا التعرف فيما اذا كانت المرأة اليمنية قد عرفت حياة العبودية ، وانها تعيش عالة على الرجل .. فلم نجد لذلك اصلا .. فالمرأة اليمنية .. تشكل اذا صنفت المرأة غير العأملة في النشاط الاقتصادي الواضح .. واختيرت او اجبرت على البقاء في البيت .. فهي في البيت ليست عاطلة عن العمل بل تؤدي عملا قد يكون اكثر شقاء من عملها خارج البيت .. الا ان تميز المرأة بانها لاتعيش عالة على الرجل .. وانها تؤدي اعمالا لها قيمة اقتصادية مهمة محسوبة لها ،وعليها .. لايعني انها لاتعاني .. او لا تشكو من مظاهر افتقار الحرية بما معناه .. ان المرأة اليمنية على الرغم من كونها اكثر النساء تحررا من الناحية الاقتصادية فلا تعيش عالة على الرجل .. تعمل وتكد وتكسب وانها قيمة ،وقيمة مضافة ايضا .. الا انها تعاني من بعض مظاهر الافتقاد للحرية .. فكيف يكون ذلك ..؟ او ماهي تلك المظاهر التي تستقطع من حرية المرأة .. او تفقدها جزءا من حريتها..؟

نعلم ولا مجال لانكار ذلك .. ان كثيرين في مختلف انحاء العالم يعانون ويواجهون انواعا مختلفة من افتقاد الحرية ، واول هذه الانواع يتمثل في المجاعات .. هذه المجاعات ،وتلك التي تنكر على الملايين الحرية الاساسية في حق البقاء .. وكثير من المجتمعات التي لم تدمرها المجاعات بين فترة واخرى ، نجدها تعاني من سوء التغذية وان هناك ملايين من الناس محرومين من حق الرعاية الصحية ومن حق الحصول على المياه النقية للشرب ، وكثيرون نتيجة لذلك ولتفشي الامراض المعدية والمتوطنة يتخطفهم الموت قبل الاوان .. وهذا نوع ثان من انواع الافتقاد للحرية ..اما النوع الثالث فهو ذلك النوع الذي يتمثل في افتقار المجتمع لكل من الأمن الاقتصادي والأمن الاجتماعي .. وهو افتقار يتجلى في ضعف عوائد التنمية واختلال الهياكل الاقتصادية .. وسوء استخدام الموارد .. وغياب عدالة التوزيع .. ومن الناحية الاجتماعية .. بروز مظاهر النزاع والكره الاجتماعي .. ومظاهر الحروب والاقتتال .. بين الدول وداخل الدول ايضا والنوع الرابع .. هو ذلك الذي يظهر في بعض المجتمعات .. التي يغلب فيها الحكام وجهة نظرهم القائلة بوجوب الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والتقليل من الحقوق السياسية .. التي هي الاصل المباشر لحرية الانسان.

لايستطيع احد ان ينكر ان مظاهر الحرمان هذه وغيرها تشكل قيدا على الحياة الاجتماعية والسياسية ويتعين النظر اليها باعتبارها مظاهر قهر .. حتى ان لم تؤد بعضها إلى كوارث اقتصادية تلحق مادية ومعنوية جسيمة بالانسان .. كما لايستطيع احد ان ينكر مدى الاهمية التي تحتلها الحريات السياسية والمدنية في حياة الانسان .. وانها تمثل عناصر تأسيسية للحرية الانسانية .. وأي انكار لها أو لجزء منها يشكل عقبة امام حرية الانسان وتطوره . وحرمانه من التمتع بحقوقه الانسانية.

واذا قسنا انواع ومظاهر الافتقاد للحرية هذه .. على وضع المرأة اليمنية. ما الذي يمكن ان نخرج به .. فاذا كان احد انواع الافتقاد لحرية المرأة يتمثل بالمجاعة وانتشارها .. واذا كان المجتمع اليمني والمرأة بالذات لاتعاني من وطأة المجاعة وانتشارها .. واذا كان المجتمع اليمني قد شهد نوعا من انواع المجاعة ،فذلك وضع شهده المجتمع في نهاية سنوات العقد السادس من القرن العشرين .. وهي ظاهرة عرضية كان سببها الرئيسي عدم هطول الامطار التي تعتمد عليها الزراعة ولم تكن الظاهرة عامة ومؤثرة إلى درجة انعدام الحرية او الانتقاص منها.. اما النوع الثاني .. والمتمثل بسوء التغذية ، والحرمان من حق الرعاية الصحية وغيرها .. فان المجتمع اليمني .. لم يعان من مظاهر هذا النوع على النحو الذي عرفته وتعيشه مجتمعات عديدة .. فكثير من الوقائع والحقائق تدل على ان الانسان اليمني شهد تطورا ملحوظا ومهما في خدمات الرعاية الصحية . وتضاءلت مظاهر سوء التغذية .. وتحسنت الاحوال الصحية للسكان بفعل انتشار مشاريع التنمية المحلية التي عملت على الوفاء بحاجات المواطنين .. وبدا واضحا الانخفاض الشديد في عدد الوفيات من الاطفال وتحسنت أوضاع الصحة الانجابية . وتراجعت ظاهرة الوفاة عند الولادة .. وكادت تنعدم هذه الظاهرة مؤخراً.

ولما كانت مظاهر الافتقاد للأمن الاقتصادي والأمن الاجتماعي من المظاهر الاساسية في الافتقاد للحرية .. وما يعكسه هذه الافتقاد من آثار سيئة على حرية المرأة فان هذه المظاهر لاتشكل انواعا ضاغطة على افتقاد المرأة لحريتها .. فبعض مظاهر الاختلال في الهياكل الاقتصادية ، ولم تصل آثارها إلى تعريض الامن الاقتصادي للخطر .. ومن ثم تعرض حرية المرأة للانتقاص خاصة وان المرأة اليمنية ماتزال تعتمد على شيوع عناصر الاقتصاد الريفي ولا تمثل بعض مظاهر عدم الاختيار في نشاطها الاقتصادي وما تعكسه من آثار سالبة تتصل بحرية المرأة وتعرضها للانتقاص فهذه مسألة ترتبط بحيثيات الظاهرة ومدى الآثار السلبية الناجمة عنها ولاشك ان بروز مظاهر الكره الاجتماعي ، والقلق الذي تسببه مظاهر النزاع .. والمواجهات المسلحة على المرأة والانتقاص من حريتها هي مظاهر مرهون ازالتها بانتشار الوعي والارتقاء بدور المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية .. اما ما يخص مظاهر الافتقاد لحرية المرأة الأخرى .. وبالاخص الحرية السياسية والحقوق المدنية فلا يستطيع ان ينكر ما تحقق للمرأة اليمنية من حقوق سياسية ومدنية ولم تنلها امرأة أخرى في الاطار الجغرافي لبعض المجتمعات التي تقع فيه اليمن .. وأي مظاهر انتقاص لحريتها . يعود إلى المرأة نفسها وله حديث آخر ..

٦- دور المرأة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

كثير من الشواهد لاتؤكد بل واكدت .. ان المرأة حين تتهيأ لها الفرص التي يستأثر بها الرجل .. لاتكون أقل نجاحا في الاستفادة من تلك الفرص والتسهيلات التي نظر اليها في بعض المجتمعات على انها حكراً على الرجل فقط ، وعلى مدى زمني طويل .. ومن الشواهد الدالة على نجاح المرأة في ميادين كثيرة اعتبرت حكرا على الرجل ليس من منظور عقائدي او نتاج لعادات وتقاليد متوارثة وانما من منظور القدرة حيث نظر إلى المرأة على انها مخلوق او كائن رقيق التكوين مرهف الحس عاطفة جياشة لاتتحمل المناظر البشعة ، صبرها سريع النفاد .. الخ

وفي سياق مثل هذه التبريرات وغيرها اعتبرت المرأة غير قادرة على الخوض في ميادين عملية تتصف بقدرات وخصائص لاتوجد الا في الرجل .. بل وذهب البعض إلى تأكيد استحالة الجمع بين خصائص المرأة كانثى مهيأه للانجاب والعمل في آن واحد

وعندما تهيأت فرص امام المرأة للانخراط في ميادين متعددة من العمل وحققت فيها بعض النجاحات ظهرت بعض الشروط التي حددت فيها خصائص معينة للمرأة العأملة وأن المرأة يمكن ان تكون شريكا اقتصاديا مهما للرجل قبل أن افضل ميادين عمل للمرأة هي التدريس والتمريض وان هذين المجالين يتطلبان من القائم بها قدرات محددة كالصبر وسعة البال والشفقة والرحمة والعطف وعدم القسوة وان هذه صفات وقدرات تتمتع بها المرأة اكثر من الرجال .. وعندما اخترقت المرأة مجالات العمل هذه بكفاءة واقتدار اضيفت اليها مجالات اخرى .. في الادارة ابرزها ادارة المكاتب والمحاسبة لما تتطلبه هذه الاعمال من صفات تتوفر اكثر عند المرأة ولكن المرأة لم تكن عند الحدود التي رسمت لها من الرجل فهي لو اتحيت لها فرص الانخراط في مجالات اخرى لحققت فيها نجاحات قد تتفوق في بعضها على الرجل وحاول الرجل ان يستثنيها من بعض الاعمال التي تتصف بالقوة والجلد .. وقيل ان ذلك لايأتي كتعبير للاقلال من مكانة المرأة وشأنها وانما للمحافظة على تميزها كأنثى ..

الا ان عوأمل عديدة في سياق التطور الاجتماعي وضغوط الحاجة دفعت بالمرأة للانخراط في مجالات الاقتصاد الريفي لا كشريك بل وقوة وحيدة الفعل في مجالات عمل هذا الاقتصاد الذي تطلب الخوض فيه صفات فيها من القسوة والشدة والجلد خشي على المرأة منها .. واستطاعت المرأة ان تجتاز التجربة بنجاح فيما اسقط الكثير من المبررات التي دفع بها الرجل امام المرأة لاظهار عجزها وضعف قدرتها في التعاطي مع متطلبات الحياة ذات الشروط القاسية .. وكان ذلك ايذانا بتسليم الرجل بجزء من التسهيلات التي ظلت حكرا عليه للمرأة لتشهد عمليات التطور وجودا فاعلا للمرأة لاتقل نجاحا عن الرجل .. ففي مجال السياسة استطاعت المرأة ان تلعب دوراً نشطا ومؤثراً وحيث وصلت الى مستوي شغل مناصب رفيعه تجاوزت بها حدود الدرجات الوظائفية العادية والعالية فكانت وزيرة ورئيسة وزراء وسفيرة في الكثير من بلدان العالم المتطور والنامي وليس هذا وحسب بل واحتلت المواقع المتقدمة في الاحزاب السياسية بما فيها رئاسة الاحزاب ولم يهمل التاريخ قديمه وحديثه دور المرأة في مجال السياسة وانجازاتها في التاريخ السياسي على مستوى القمة والقيادة في كثير من البلدان ..

وعلى مستوى اليمن لم تتراجع المرأة عن الخوض فيما خاضه الرجل .. ففي المجال السياسي لعبت ادوارا مهمة ومتميزة . وحققت نجاحات كبيرة في مختلف اطر العمل السياسي وميادينه انخرطت في تنظيمات الثورة وحملت السلاح انتصاراً لها ودفاعا عن انظمتها واقتحمت هيئات الدولة ومؤسساتها فكانت النائبة والوزيرة، والمستشارة وتهيأت لها فرص العمل فالتحقت بمختلف اجهزة الجهاز الاداري للدولة والقطاعات والمؤسسات والهيئات واثبتت في الكثير من مجالات العمل وميادينه انها لاتقل قدرة وكفاءة وشجاعة عن الرجل فحملت مشرط الجراحة في المستشفيات وجلست امام اجهزة المعأمل والتحاليل العلمية .. ودخلت غرف العمليات وكبائن قيادات الطائرات كقائد وموجه واعترف لها المجتمع بحقها ، وبقدرتها على المشاركة والمساهمة الفاعلة في بناء الوطن وصنع تطوره ..

واذا انتقلنا للمجال الاقتصادي فلن نجد المرأة الا كائنا مشاركا بقوة في مختلف مجالات انشطته .. ولم ينكر المجتمع ان عدم مشاركة المرأة هو احد اسباب الانخفاض النسبي في الموارد الاقتصادية ولم يحاول المجتمع ان يحد من حق المرأة في ملكية الارض ورأس المال وجعل ذلك حكرا على الرجل كما هو حاصل في بعض البلدان النامية فالثورة وعوأمل التطور وجهود تنظيم مناشط الحياه وتفاعلاتها اتاحت للمرأة فرص .. التملك والاستثمار الى جانب الانخراط في ميادين العمل المنتج صناعيا وزراعيا ، وأثبتت نجاحات في السيطرة على الكثير من مشروعات الاعمال الصغيرة والمبادرات الاقتصادية في مجالات عدة .. واكدت نتائج مشاركة المرأة في مناشط الاقتصاد المختلفة ان ناتج مشاركتها لايقتصر فقط على توليد دخل يخصها ، بل يحقق منافع اجتماعية هي نتاج تعزيز مكانة المرأة واستغلالها الأمر الذي يقود الى القول ان مشاركة المرأة اقتصاديا هو مكافأة جديرة بها .. بالاضافة الى كونه عاملا قويا يؤثر في التغيير الاجتماعي بصورة عامة ..

٧- المرأة والعلاقات الاجتماعية

لايختلف اثنان على ان المرأة تتميز عن الرجل بكونها اكثر فاعلية في انشاء علاقات اجتماعية من الرجل وهي شديدة التأثر والانفعال مع الاحداث والوقائع الاجتماعية المختلفة سواء كانت فرحا او حزنا لاتترك فرصة مواتيه الا وقد خرجت بحزمة من الصداقات فهي لاتهتم عندما تضيف إلى اجندتها صداقات جديدة بالاجيال والخلفيات وما الى ذلك من أول وهلة .. فتلك مسائل تتركها للزمن ، كل ما يهمها الاسم الزواج ، العنوان .. وبعدها تأتي الأمور اللاحقة وتتصف بالكرم .. بشرط أن لايكون استقطاعاً من دخلها . او مدخراتها «إلا في الريف» لاتتثاقل اذا ما طلب منها مد يد العون او المساعدة او الانخراط في العمل التعاوني .. مكتنزة بارعه ومبذرة مفرطة .. تنشد الرفاه والكمال دون توقف مما يجعلها تدخل في منازعات داخل الاسرة ليس من باب الدخول والانجازات ولا من باب التوزيع وحصص المساهمات في سد حاجات الاسرة وتحقيق الرفاه لها وانما تتجاوزها احيانا الى بؤر اهتمامية لاتتصل بالقدرة على الحياة دون حرمان ودون بؤس ودون تضحية الأمر الذي يصيب العلاقات الاسرية ، وحتى الاجتماعية بالكره والتعقيد الشديد .. ولايدخل في اطار الاستغراب اذا جلس زوجان يناقشان او يتناقشان في أمور تتصل بكيفية وامكانية زيادة دخلهما على ان لايكون ذلك امعانا في زيادة شقائهما وانهاكا لطاقتهما وقدرتهما .

وسيكون من الأمور المستغربة جدا ان تجد الزوجان وقد تجاوز حديثهما أو نقاشهما أمور زيادة الدخل عن المحاسبة المستمرة لكيفية توزيع الدخل وبنود الانفاق اليومية بزيادة مخصصات بنود واستقطاع اجزاء من مخصصات بنود الى أمور تتعلق بكيفية وامكانية ان يكونا ثريين .. تحكي فلسفة هندية في القرن الثامن قبل الميلاد ان زوجين تحادثا في مسألة ان يكونا ثريين .. والى أي مدى يمكن للثروة ان تساعدهما في الحصول على ما يريدانه .. تساءلت الزوجه «واسمها يتريبي» عن ما اذا كانت الغابة تتحقق حين «تمتلك أقطار كوكب الارض . وكل الثروات ..؟ هل تستطيع بذلك أن تحصل على الخلود ؟ .. اجاب الزوج «واسمه ياجنا فاليكا» لا .. فان حياتك هنا شأن حياة الاثرياء .. وقالت الزوجة .. «اذن لا أمل في الخلود بفضل الثراء .. اذن ماذا عليَّ ان افعل بهذا الذي لايمنحني الخلود ..؟

اقتنعت الزوجه بالاجابة .. ورددت لا أمل بالخلود حتى لو كان تحت سيطرتها وملكها بلدان العالم وثرواتها .. أو كل الثروات التي بها .. ولم تكتف بفقدان الأمل بالخلود نتيجة لامتلاك الثروة .. واضافت ببساطة شديدة ماذا افعل بملك وثروة لا تمنحني الخلود ..

المرأة هنا في البدء حددت بؤرة اهتمامها وتفكيرها بمسألة القدرة على الحياة الابدية وان امتلاكها للثروة سيمنحها الخلود الأبدي فذكرها زوجها بأن حياتها مثل حياة الأثرياء الآخرين «حتى وان تجاوزتهم في الاهتمام بامتلاك البلدان والثروات » ليست ابدية .. ولن تكون خالدة .. وان عليها ان لاتشغل بالها وتهتم بكيفية امتلاك الثروة بغية الحصول على حياة ابدية .. وان تحصر تفكيرها واهتمامها بكيفية زيادة دخل الاسرة بالحدود التي تسمح بتلبية احتياجات المعيشة وظروفها ونوع الحياة ..

وليست هذه دعوة للمرأة بالانصراف عن التفكير او الاهتمام بامتلاك الثروة كي لا يقال انها دعوة للانتقاص من حقها في حرية التملك وانما لاتجعل كل اهتمامها منصرفا نحو اكتشاف السبل والمداخل المؤدية الى جعلها صاحبة ثروة .. وان قيمتها ومكانتها الاجتماعية وهيبتها واحترامها لا تتحقق إلا اذا كانت مالكة ثروة .. فالثروة كما كتب الفيلسوف اليوناني القديم في احد كتبه «الثروة كما هو واضح ليست الخير الذي ننشده .. ذلك لانها مجرد اداة نافعة للحصول على شيء آخر »

وهذا الشيء الآخر الذي نريد الحصول عليه من الثروة والتي نتطلع لامتلاكها ليست بالواقع هي تلك الاشياء التي اصبحت تندفع اليها المرأة اليمنية بعد ان فتحت لها الثورة ابواب العمل خارج البيت فاصبح لها دخل شهري – بعضهن يحصلن على دخل شهري اكثر من دخل الرجل – كالتبذير المفرط في شراء الملابس للظهور في الحفلات والمناسبات بمظهر يلفت الانتباه والاعجاب والتعجب وتزيد بالتبذير المفرط عدم الظهور بأي حفل أو مناسبة بملابس سبق لها ان ظهرت بها في حفلة أو مناسبة اخرى .. كل لايقلل من مكانتها .. ولو كان ذلك على حساب حياة الاسرة واستقرارها .. أو أنها تسابق الأخريات في اقتناء وامتلاك اشياء لاقبل لاخريات بها مما يثير المتاعب لاسر عديدة .. المسألة هنا ليست اتهاما لاحد وانما تسجيل لمظاهر سيئة بفعل الثروة واستخدامها الاستخدام السيء ... ولاننسى في السياق ذاته التذكير بان عددا غير قليل من النساء سحقن بسلوكهن وتصرفاتهن صفات وخصائص المرأة اليمنية التي تميزت بها كمنتجه ومشاركة فعاله في بناء الاسرة والمجتمع حيث تشير دلائل كثيرة الى أن المرأة المدنية اليوم اصبحت تكتسب خصائص ذميمة كالتطلع غير المشروع والانانية وحب الذات والتملك والتملق وهي صفات لاتظهر الا عند ناقصي القدرة ومحدودي المعرفة وفاقدي المهارة وما اكثرها في مجتمع المرأة المدنية اليوم .. ومع اعياد الثورة اليمنية التي منحت المرأة الكثير والكثير تقديرا ومكافأة لها تظهر الحاجة الماسة الى دراسة مختلف الظواهر الاجتماعية التي بدأت تجعل من المرأة معوقا اساسيا من معوقات التطوير المنشود لما تتحلى به من مزايا القصور والنقص والغرور .